

مقام التأنق في خطابات الشيخ البشيرالابراهيمي وأثره في التلقي .
The place of elegance in sheikh Al-Bashir Brahimi's speeches
.and its impact on receiving

الدكتور: نصرالدين أجدير¹

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان- الجزائر.

ملخص:

قد تتعدد المعارف والمكتسبات العلمية في العالم الواحد ولا يشتهر إلا بجانب واحد ولعل مرد ذلك إلى البيئة التي عايشها العالم، وقد يتذرع بمسالك شتى لتحقيق مقصده، وقد تتعانق المسالك لتحقيق المقصد فتثمر من جوانب شتى وخير أنموذج لهذا التقرير رائد مدرسة الإصلاح الشيخ البشيرالابراهيمي والذي عرف عنه مسمى الإصلاح ومحاولة تغيير واقع معاش.

والمستقري لتاريخ البشيرالابراهيمي يجده يعالج قضايا اجتماعية وسياسية وأدبية بأسلوب أدبي راق لا يحيد عنه مهما تغايرت الموضوعات أو الفئة المخاطبة إرساء لمنهج اتحد لينتج نظرية يذعن اليها السامع وتأسر المتذوق، كل هذا مع بساطة في الطرح ورونق في الألفاظ والأساليب.

الكلمات المفتاحية: البشيرالابراهيمي - مقام التأنق - الخطاب - التلقي

summary

Scientific knowledge and gains may be multiplied in the same world and are known only one side, perhaps due to the environment experienced by the world, and may invoke various questions to achieve its purpose, and may embrace the paths to achieve the goal and bear fruit in various aspects and the best model for this report is the pioneer of the school of reform Sheikh Bashir Brahimi, who is known as reform and trying to change the reality of a pension .

The stable history of Al-Bashir Brahimi finds him dealing with social, political and literary issues in a sophisticated literary way that

does not deviate from him, no matter how different the topics or category addressed, establish a method united to produce a theory to which the listener submits and captures the taster, all with simplicity in the presentation and elegance in words and methods.

Keywords: Bashir Brahimi - The Place of Dress - Speech - Receiving

المؤلف المرسل: نصر الدين أجدير

مقدمة

من أجل تلکم الغايات التي سيقّت توجب الاستشكال حول الصنعة التأنيقية في تراث الشيخ البشير الابراهيمي، وأبعادها في استنهاض المتلقي ؟

وقد رسمنا لذلك التصور التالي:

الورقة الأولى : فذلكة حول منظومة تذوق الخطاب

الورقة الثانية: في بيان شخصية البشير الابراهيمي .دوره الريادي في الإصلاح

الورقة الثالثة: التأنيق في تراث الشيخ الابراهيمي ودوره في تحقيق المراد.

خاتمة .

الورقة الأولى : فذلكة حول منظومة تذوق الخطاب

لا بد من استقرار سيرة الأوائل في الكشف عن المنظومة الذوقية في الخطاب وأثرها في التلقي، ولا يمتري أحد أن العرب في الجاهلية كانوا على قدر عظيم من تذوق الكلام الأمر الذي جعلهم يذعنون لبراعة وأمداد كلم القرآن الكريم وفيما يلي المؤيدات الشرعية لهاته المنظومة :

لابد من شواهد تؤيد الإعجاز وتجلي مقاصده وإلا كان تصحيفا على ورق، وخير الشواهد ما يذعن إليه المكابر ويفحم الخصوم وورد في النصوص الشرعية ما يبين هاته الجزئية ويؤكددها على نحو قطعي وسنقتصر على بعض الشواهد منها:

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه حديثا طويلا عن إسلامه، وفيه: أن أنيسا أبا أبي ذر ذهب إلى مكة ثم عاد فقال لأبي ذر: «لقيت رجلا بمكة

مقام التأنيق في خطابات الشيخ البشير الابراهيمي وأثره في التلقي .

على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء. قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم. ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون»¹.

والذي نقلته كتب السير من أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد ساعدهم، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسقطت به أحلامهم، وعبت آلهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها؟ قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل يا أبا الوليد أسمع». قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبزك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد» قال: نعم. قال: فاستمع مني، قال: أفعّل. قال: بسم الله

الرحمن الرحيم قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابُ

1/ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر الغفاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، رقم: 6513، ج 7 ص 152.

فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ وَقُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾²

. ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرؤها عليه فلما سمع عتبة أنصت وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: «نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورأيي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإنّ يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزّكم وكنتم أسعد به. فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم»³.

فلا بد أن الإعجاز في بيئة العرب أبلغ وأعظم كونهم حازوا مقاليد البيان وتملكوا قوة اللسان وما يشهد للإعجاز فضلاً عن أهل الموافقة قول المكابر المخاصم الذي أذعن.

وهذا الوجه يدركه العرب، وهم أول من يخاطب به وإذا عجزوا هم عنه، فغيرهم أعجز وأعجز، لكن جلال الإعجاز في هذا الكتاب لا يقتصر لكن جلال

2/ سورة فصلت ، الآيات 4-1.

3/ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للبيهقي، تج: أحمد عصام الكاتب، دارالآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1401هـ ص 267

مقام التأنيق في خطابات الشيخ البشير الابراهيمي وأثره في التلقي .

الإعجاز في هذا الكتاب لا يقتصر على ذلك بل إنه يشمل أوجها أخرى يدرك الإعجاز فيها كل من يفقه معاني الكلام، ولو لم يكن له في ساحة البيان جولات⁴ .

يقول الرماني: «أما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن. وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس. وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عي؛ ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى ، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة»⁵.

ويورد الرافي مقلدا: «فإن قيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عما ذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: "عن الألفاظ"، فماذا أعجزهم من اللفظ، أم ما بهرهم منه؟

قال الرافي: فقلنا: أعجزتم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية،

⁴ / علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر، ص 209.

⁵ / النكت في إعجاز القرآن للرماني، تح: محمد خلف الله - محمد زغلول سلام، ط/ دار المعارف، مصر، ط 3، 1976م، ص 75.

الدكتور: نصر الدين أجدير

وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتثاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرس الألسن عن أن تدعي وتقول»⁶.

ومن بليغ ما أورد الزمخشري في ذلك: « أنشأه كتابا ساطعاً تبياناً، قاطعاً برهانه وحيا ناطقاً ببيانات وحجج، قرأنا عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحاءهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصي البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء»⁷.

وقال الراغب: « فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها

⁶ / دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني، تج: محمود محمد شاكر، ط/ مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413 هـ - 1992 م، ص 39.

⁷ / الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ، ص 1.

مقام التألق في خطابات الشيخ البشير الإبراهيمي وأثره في التلقي .

والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة،
وكالحنثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة»⁸.

الورقة الثانية: في بيان شخصية البشير الإبراهيمي ودوره الريادي في الإصلاح .

أولاً: ترجمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

أ- مولده ونشأته ونسبه:

محمد بن البشير محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن
عمر الإبراهيمي، من قبيلة (أولاد إبراهيم) العربية، التي استوطنت مقاطعة
قسنطينة بالجزائر. ولد بقرية (رأس الواد) بناحية مدينة سطيف بالشرق
الجزائري في 14 يونيو عام 1889م⁹.

لقد ولد الشيخ البشير الإبراهيمي في أحضان أسرة أسست على التقوى توارثت
علوم الإسلام والعربية على امتداد خمسة قرون¹⁰. هناك ندرك دور الأسرة في
التربية والتعليم، ومدى تأثيرها في تكوين شخصية الابن، فالشيخ البشير الإبراهيمي
حظي بأسرة توارثت الإسلام واللغة العربية وتشبع بتعاليم الإسلام أيما تشبع.
حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، ودرس عليه الكتب
التي كانت تدرس في الأزهر الشريف، فكان لعمه المكي عظيم الفضل في تكوينه
وتعليمه وتربيته¹¹.

8 / المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تج: صفوان عدنان الداودي، ط/ دار القلم، الدار الشامية
- دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ ص 55.

⁹ / الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، دار السلام-مصر، دط، ص05/الأعلام،
الزركلي، دار الملائين، طبعة الخامسة عشر، ماي 2002م، ج06، ص54/ آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،
جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي -بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ج01، ص09.
¹⁰/ينظر: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، ص05/ آثار الشيخ محمد البشير
الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج01، ص09.

¹¹ / ينظر: المصدر نفسه.

الدكتور: نصر الدين أجدير

ظهرت ملكته العلمية وحفظه المتين في أولى باكورات تعلمه على يد عمه الذي درسه شتى الفنون من العلم. وبعد هذا قرر السر في أول رحلة لطلب العلم، فكانت أولى وجهاته مدينة رسول الله، حيث درس فيها على كبار علمائها دروسا في التفسير والحديث، واللغة والتراجم وأنساب العرب، وأدبهم، ودواوينهم، والمنطق. بحق كان مجتهدا وحافظا.

انتقل الإبراهيمي إلى دمشق لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية، وألقى دروس الوعظ والارشاد في الجامع الأموي، فخرج على يديه جيل من المثقفين¹². يظهر لنا من خلال هذه المسيرة العلمية للشيخ أنه كان رجلا مجتهدا في الطلب حافضا، متخلقا، عالما، فطنا، ذا حكمة ورجحان عقل، وإلى جانب هذا كان مثل الغيث أينما حل نفع بعلمه وأفكاره.

ب- شيوخه:

إن أول تعليم تلقاه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان على يدي عمه المكي الإبراهيمي، الذي علمه فنونا عدة في العلم. ولقد ذكر له الأستاذ محمد عمارة رحمه الله ثلة من المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم منهم:

1- الشيخ سليم البشري (1832-1917)

2- الشيخ محمد بخيت المطيعي (1854-1935)

3- الشيخ يوسف الدجوي (1870-1936)

4- الشيخ عبد الغني محمود.

5- الشيخ السمالوطي.

6- الشيخ سعيد الموجي (1851-1935)

7- الشيخ العزيز الوزير التونسي.

¹² / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 01، ص 10.

مقام التألق في خطابات الشيخ البشير الإبراهيمي وأثره في التلقي .

- 8- الشيخ أحمد الفيض الأبادي الهندي.
- 9- الشيخ أحمد البرزنجي الشهرزوري.
- 10- الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي.
- 11- الشيخ خليل إبراهيم الأسكوبي.
- 12- الشيخ عبد الباقي الأفغاني¹³.

ت- أعماله وآثاره:

- أعماله:

لقد اهتم الشيخ البشير الإبراهيمي كثيرا بالجانب التعليمي، إذ ن التعليم هو الركيزة الأساسية في بناء المجتمع مع تكوين سليم في التربية. وهذا ما كان يؤمن به صاحبه وعضيده الشيخ عبد الحميد بن باديس. يقول الشيخ الإبراهيمي مبديا عن رؤية جمعية العلماء المسلمي بأن "التعليم العربي الذي تسعى لحيته وترقيته هو جزء من التعليم العام الذي هو وسيلة تثقيف، والتثقيف هو أشرف مقاصد الحكومات الرشيدة، وإن الحكومات الرشيدة لتلتمس المعونة على تثقيف شعوبها من كل من يستطيعه من جمعيات وأفراد، وتبذل لهم من التنشيط والتيسير ما يحقق ذلك"¹⁴.

فالأمة المثقفة هي أمة مستقلة في تفكيرها ونتاجها واستثمارها، فلا تحكمها أفكار غيرها ولا سياساتهم. وكذلك هي أمة تتوق للإبداع والاختراع بأفكارها، هكذا نلمس مدى رؤية الشيخ الإبراهيمي للجانب التعليمي وتكريس حياته له.

¹³/ ينظر: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، ص 07-08.

¹⁴/ آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 03، ص 49.

الدكتور: نصر الدين أجدير

ولقد قام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بإنشاء مدرسة دار الحديث التي بناها على نسق هندسي أندلسي أصيل، وكذلك قام بإنشاء النوادي مثل نادي السعادة ونادي الشبيبة الإسلامية، ونادي الرجاء ونادي الشباب الإصلاحي¹⁵. وقام أيضا بقيادة الحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر يحوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا، وكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين. وفاته: قضى الشيخ حياته في خدمة الإسلام والمسلمين، وتأليف الرجال وتهيتهم لحمل راية التجديد، إلى أن أخذته المنية في يوم الخميس 19 ماي 1965م. ولقد قال عنه صاحبه عبد الحميد بن باديس: "عجبت لشعب أنجب مثل الشيخ البشير الإبراهيمي أن يضل في الدين أو يخزي في دنيا أو يذل لاستعمار"¹⁶. لقد قدم الإبراهيمي الكثير للشعب الجزائري خاصة والأمة الإسلامية عامة، وكانت نزعتة العربية والإسلامية جلية في كتاباته وخطاباته، وكذا بعد نظره في بناء المجتمع.

الورقة الثالثة: التألق في تراث الشيخ الإبراهيمي ودوره في تحقيق المراد. إن الانشغال بالقضية الوطنية وتنوير العقول وإعداد أجيال تحمل راية تحرير الوطن، جعل الشيخ الإبراهيمي لا يكثر من التأليف، إلا أن هذا لا يدل على أنه لم يؤلف شيئا بل له باقة من الكتب الغالية نذكر منها:

ما ذكره الزركلي في كتابه الأعلام:

1- شعب الإيمان في الأخلاق والفضائل.

2- التسمية بالمصدر.

3- أسرار الضمائر العربية.

¹⁵/ ينظر: الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شهرة شفري، إشراف: محمد زرمان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية 2008-2009م، ص 99.

¹⁶/ المصدر نفسه، ص 15.

مقام التألق في خطابات الشيخ البشير الابراهيمي وأثره في التلقي .

- 4- كاهنة أوراس قصة روائية.
 - 5- نشر الطي من أعمال عبد الحي 17.
 - وأضاف الأستاذ محمد عمارة مجموعة أخرى من كتبه إلى جانب ما ذكره الزركلي:
 - 6- عيون البصائر.
 - 7- الاطراد والشذوذ.
 - 8- رسالة الضب.
 - 9- فصيح العربية من العامة الجزائرية.
 - 10- أرجوزة في 360 ألف بيت.
 - 11- مقالات 18.
 - 12- آثار البشير الإبراهيمي الذي أشرف عليه نجله أحمد طالب الإبراهيمي.
- ثانيا: التألق في خطابات البشير الابراهيمي وأثره في التلقي
- ان للغة البشير الابراهيمي رونق تنتشي منه الروح طربا وتأسر أرواح المتذوقين ، ولم تفتريهاته الرصانة في الالتقاء أو تتغير من مجال الى آخر بل كانت لبوسا له لم يفارقه في كل المجالات :
- (1) التألق في الخطاب الديني وأثره في التلقي:

إن التغيير والتجديد على مستوى الاعتقاد الديني هو أساس كل تغيير، لما للجانب العقائدي من أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع. والشعب الجزائري في طبعه وتكوينه "ذو ميراث روحاني عريق، وهو الإسلام وآدابه وأخلاقه، وذو ميراث مادي شاده أسلافه لحفظ ذلك التراث، وهو المساجد بهياكلها وأوقافها"¹⁹. ولكن

¹⁷ /الأعلام، الزركلي، ج 06، ص 54.

¹⁸ /ينظر: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، ص 14.

¹⁹ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 03، ص 49.

الدكتور: نصر الدين أجدير

هذه القيم سرعان ما بدأت تذوب في المجتمع الجزائري المستعمر من قبل فرنسا، فتغيرت أفكارهم وذابت تعاليم الإسلام إذ أنهم أن كانوا يمشون تحت رحمة الاستعمار، فالجزائر على الرغم من إسلامها في الظاهر إلا كانت "تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات"²⁰، فحدث ما خططت له الأيدي الفرنسية - إفساد العقيدة السليمة- وما سعت إليه.

وقارن الشيخ بين الأديان التي كانت سائدة في الجزائر ولكن أوثقها اتصالا بالأصول السماوية والتي لم تصل إليها أيدي التحريف والتغيير هو الإسلام ففي "إبان قوته وعنفوان فورته، تعرف إلى الدينين بالخير والحق والعدل والإحسان، وأبقى على الدماء والعقائد والمعابد، بل حماها وحافظ عليها أكثر من محافظة الدول المسيحية، ولما جاز البحر إلى الأندلس لينشر الهداية والنور ووجدهما هناك يضطهد أقوامهما أضعافهما، رفع الضيم عن المضيم وسوى بينهما في عدله وعاملهما بتلك المعاملة نفسها، ولم يشهد التاريخ أنه أكره يهوديا أو مسيحيا على الإسلام"²¹.

ونرى دفاعه المستميت على شعائر الإسلام والركن القويم الذي تتجلى فيه كل معاني العبودية ألا وهو الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام التي بني عليها، "يشاركها في الركنية والروح والمعنى العام للتعب، ويزيد عليها بمعان اجتماعية حكيمة من السير في الأرض، والاطلاع على الأحوال، والاستزادة من العلم، والاختبار لأحوال الأمم والاعتبار بها، والامتزاج بالأمم المشتركة في الدين، والتعارف بين الإخوة المتباعدين في المواطن: فهو مؤتمر اجتماعي للمسلمين"²²، وكل هذه المعاني

²⁰ / مشكلات الحضارة- شروط النهضة، مالك بن نبي، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الكتاب-القاهرة، دط، ص30.

²¹ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج03، ص79.

²² / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج03، ص74.

مقام التأنيق في خطابات الشيخ البشير الإبراهيمي وأثره في التلقي.

الجليلة التي تنبثق من رحم الحج "تحصن بالفرضية المحتملة ليضمن له البقاء والاستمرار، واختار الله له من الأماكن تلك الصحراء الطاهرة بلعاب الشمس، المصهورة بحرارتها، المهيأة لرسالة التوحيد بدءا وختاما ليذكر المسلمين بالفطرة التي هي من خصائص دينهم"23، بهذا الأسلوب الراقى وكلمة الحق سعى إلى إصلاح الجانب الديني لأن الاستعمار أراد من خلال مساهمته لمقدسات المسلمين تطويق الخناق على الدين الذي هو الروح الدافعة له في الحياة والإكسير الذي يعينه على المضي قدما في عراكه مع الاستعمار.

(2) التأنيق في الخطاب التعليمي وأثره في التلقي: أدركت الشيخ البشير الإبراهيمي أهمية العلم واللغة العربية، فسعى بكل الطرق والسبل إلى المطالبة "بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني"24، فصارع في ذلك كل العوارض والقوانين التي كانت تفرضها الإدارة الفرنسية من أجل خنق اللغة العربية.

ويرى البشير الإبراهيمي أن "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حتى من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم الأمة المسلمة، وحتى من حيث إنها لغة جنسها، بحكم أن الأمة عربية الجنس، في المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا"25.

ويوجه الشيخ نصيحته لأبناء الوطن بأن يسهروا على طلب العلم ولا يملّوا منه، فقال: "يا أبناءنا، إن الحياة قسمان: حياة علمية، وحياة عملية، وإن الثانية منهما تنبني على الأولى قوة وضعفا، وإنتاجا وعقما، وإنكم أقوياء في العمل إلا إذا

²³ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص74.

²⁴ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص49.

²⁵ / المصدر نفسه، ج3، ص48.

الدكتور: نصر الدين أجدير

كنتم أقوىاء في العلم ولا تكونون أقوىاء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله؛ إن العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهره السهاد، وصرف إليه أعتة الاجتهاد²⁶. إن هذه الوصية التي تركها الشيخ لأبناء الوطن، كأنها وصية أب لأبنائه، وتبعث هذه الكلمات في النفس الأثر البالغ في حب الوطن وبذل النفس والنفيس من أجل النهوض به.

وأكد الشيخ الإبراهيمي على ضرورة التعليم لأنه السلاح الذي يقهر جبورة الاستعمار فقال: "ألا إن في الاستعمار لفحة من جهنم، وإن في المستضعفين سمات من أهلها، أظهرها أنهم لا يموتون ولا يحيون. وكما أن جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، وأساسها الإيمان فإن الاستعمار يتقى بالأعمال الصالحة وأساسها العلم؛ وإذا كان العدو الأكبر لجهنم، هو العمل الصالح، فإن العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم²⁷". هذا الكلام بليغ جدا في وصف الاستعمار وبيان دور العلم في محاربته.

ويقرر عبد الحميد بن باديس أن "العلم هو الإمام المتبع في الحياة والأقوال والأفعال والعبادات"²⁸. فيمكن إذن الخروج إلى نتيجة حتمية هي أن العلم هو حزام الأمان، الذي يعصم الإنسان من الوقوع في الأخطاء والزلات، ويساعده على التطور وإنتاج الفكري والرؤية المستقبلية للحضارة، واللغة العربية هي هوية الشعب الجزائري، وكذلك هي الآلة التي تساعد في درك مرادات الشارع الحكيم وتحقيق المقاصد التي من أجلها أنزل القرآن.

(3) التألق في الخطاب الاعلامي وأثره في التلقي: إن التطور التكنولوجي والعلمي الذي يشهده العالم، غير فكرة العالم في أن العرب العسكرية ليست

²⁶ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص 203.

²⁷ / آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص220.

²⁸ /مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، دار الرشيد -الجزائر، طبعة الأولى، 1430هـ، م01، ص266.

مقام التأنيق في خطابات الشيخ البشير الإبراهيمي وأثره في التلقي.

ناجعة، وإنما وجب التفكير في سلاح آخر يكون أكثر فتكا وأشد خطورة وأقل خسائرا فلجؤوا إلى عالم الإعلام والصحافة من أجل طرح أفكارهم ووجهات رأيهم. فنرى الفرحة الكبيرة التي غمرت الشيخ البشير الإبراهيمي حينما عادت للظهور فقال: "وهذه جريدة ((البصائر)) تعود إلى الظهور بعد احتجاج طال أمده؛ وكما تعود الشمس إلى الإشراف بعد تغيب، وتعود الشجرة إلى الإبراق بعد التسلب فلا يكون اعتكار الظلام، وإن جلل الأفق بسواده، إلا معنى من معاني التشويق إلى الشمس، ولا يكون صر الشتاء، وإن أعرى الأشجار باشتداده، إلا خزناً لقوة الحياة في الأشجار"29، بهذه الكلمات الرنانة التي تعطي الأمل لفجر جديد ينتقي الشيخ أحلى العبارات وأقوى الكلمات للتعبير عن مدى فرحه بصدور جريد البصائر لأنها في حقيقة الأمر "فكرة استولت على العقول، فكانت عقيدة مشدودة العقد ببرهان القرآن، ثم فاضت على أسلات الألسنة فكانت كلاما مشرق الجوانب بنور الحكمة، ثم جاشت على أسنة الأقلام، فكانت كتابة في صحيفة"30، وهذه الجريدة في نظره هي أحد الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء المسلمين، " تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية المستمدة من كلام الله وكلام رسوله، والتي كانت ترمي بالشر على المبطلين والمعتولين، وكانت كلما أغمد الظلم لسانا منها سل الحق لسانا لا ينثلم ولا ينبو، وتلك هي: السنة، والشريعة، والصراط والبصائر: أسماء ألهم القرآن استعمالها، وفصلت القرائح الملتببة، والأقلام المسددة إجمالها، وصدق واقع العيان فالها"31، كانت الجريد بصفة عامة هي اللسان الصادح بالحق والمتصدي للاستعمار وأفكاره وأعماله الشنعاء التي لا يقبلها العقل.

²⁹ /آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 03، ص 41.

³⁰ /آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 03، ص 41.

³¹ /آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 03، ص 42.

خاتمة :

مما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن شخصية البشير الابراهيمي فريدة متميزة من حيث تذرعه بمسالك شتى لتحقيق مقصده، وتعانقت المسالك لتحقيق المقصد فأنتجت الكثير الطيب .

التقرير لمنظومة التذوق عند رائد مدرسة الإصلاح الشيخ البشير الابراهيمي والذي عرف عنه مسمى الإصلاح ومحاولة تغيير واقع معاش بلغة راقية ما استطاع التنصل منها .

تنوع القضايا المعالجة: اجتماعية وسياسية وأدبية بأسلوب أدبي راق لا يحيد عنه مهما تغايرت الموضوعات. إرساء لمنهج اتحد لينتج نظرية يذعن لها السامع وتأسر المتذوق، كل هذا مع بساطة في الطرح ورونق في الألفاظ والأساليب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

مقام التأنيق في خطابات الشيخ البشير الإبراهيمي وأثره في التلقي .

فهرس المصادر:

- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
- الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شهرة شفري، إشراف: محمد زرمان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية 2008-2009م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ط/ مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
- الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، دار السلام-مصر، د.ط، ص05/الأعلام، الزركلي، دار الملايين، طبعة الخامسة عشر، ماي 2002م.
- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر الغفاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت..
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط/دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.